مجلة دورية أكاديمية





تصدر عن مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع kounouzelhikma@yahoo.fr

مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية

الـحـكـمـة

لـلـــــدراسات التربوية والنفسية

مجلة دولية دورية مستقلة محكمة متخصصة

تعنى بالبحوث التربوية



المجلد الثاني عشر

العدد الرابع

2024

مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية
Eissn :2602-5248 Issn : 2353-0456
المجلد 12 / العـدد: 04 (2024)، ص: 77- 97

دو افع الإلحاد عند أبناء المسلمين
بين حقيقة الو اقع ودعاوى الملحدين
Motivations for Atheism Among Muslim Youth: Between the Reality of Facts and the Claims of Atheists

د. محمّد الزّمني
المعهد العالي لأصول الدين / جامعة الزيتونة (تونس)
zemnimm@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2024/12/07 تاريخ القبول: 2024/12/14 تاريخ النشر: 2024/12/18

ملخص:

حفظ الدين هو الغاية الأسمى التي أرسل الله لأجلها الرّسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع، لذلك لا يعلم معارض من علماء الإسلام في اعتبار حفظ الدين آكد الضروريات وأرفع الكليات في مقاصد الشرع، وعلى ذلك فإن كلّ ما فيه حفظ للدين يأخذ حكمه ويرقى إلى منزلته.

ومن أعظم ما يكون به حفظ الدين صيانته عن الطعون التي يريد بها أصحابها صرف أهله عنه وإخراجهم منه، وفي العصر الحاضر يعد الإلحاد من أكثر المذاهب الهدامة التي تلقى لها رواجا بين أبناء المسلمين خاصة في فئة الشباب، فانساق منهم من انساق خلف هذا التيار، وادّعوا دعاوى توهموا أو زعموا أنها أسباب إلحادهم، وروجوا هذه الدعاوى لعلّها تنطلي على ضعاف الدين خاصة من أقرانهم، فجاء هذا البحث بيانا لبطلان هذه الدّعاوى، وإظهارا لأهم الأسباب الحقيقة لهذا الإلحاد، وهي غالبا أسباب إيمانية أو تربوية أو نفسية أو اجتماعية.

كلمات مفتاحية: الإسلام، الإلحاد، أبناء، شباب، دعاوى، أسباب.

Abstract:

The preservation of religion is the highest goal for which God sent the messengers, revealed the scriptures, and established laws. Therefore, there is no disagreement among scholars of Islam regarding the significance of preserving religion as one of the most essential necessities and the highest objectives in the purposes of Sharia. Accordingly, anything that contributes to the preservation of religion is deemed important and elevated in status.

One of the greatest means of preserving religion is safeguarding it from attacks by those who seek to divert its followers away from it and exclude them from it. In the present era, atheism is considered one of the most destructive ideologies that has gained traction among Muslims, particularly among the youth. Some individuals have succumbed to this trend and claimed reasons that they believe justify their atheism. They propagate these claims in hopes that they will resonate with those who are weak in faith, especially their peers. This research aims to clarify the invalidity of these claims and to reveal the true underlying causes of atheism, which are often rooted in faith-related, educational, psychological, or social issues.
Keywords: Islam, Atheism, children, Youth, Claims, Reasons.

***المؤلف المرسل:** د. محمد الزّمني

1. مقدمة

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، خلق فسوى وقدر فهدى يحيي ويميت وإليه النشور ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة وهداية للناس ليخرجهم من الضلال والجهل والغفلة والسدور.

أما بعد ، فمن الملاحظ منذ بضع سنوات أن الإلحاد بدأ يجد له ولدعاته وأدعيائه سوقا في بلاد العرب والمسلمين بعد أن كان كاسدا فيها مذ ظهوره ، وبعضهم ينفخ قيه ويعظم رواجه، وبعضهم يجعله ظاهرة ، وبعضهم يجعله سحاب صيف ، وبعضهم يقلل من شأنه، وكل هؤلاء يعطي أرقاما وفق ما تميل له نفسه أو يمليه عليه هواه ، وليس ثمّ إحصاء صحيح وفق قواعد علمية قامت به جهة موثوقة يمكن اعتماده ، لكن ما لا يمكن إغفاله بين مستقل ومستكثر أن الأمر يتنامى بعد أن ظهر.

وإن كان الأمر برمته داعيا للقلق، دافعا للبحث عن الأسباب الحقيقية، حاملا للبحث عن الحلول المجدية، إلا أن ما يقلق أكثر أن أكثر الفئات التي يروج فيها الإلحاد هي فئات الشباب من أبناء المسلمين، خاصة من كانوا في سن "المراهقة" أو بعدها بقليل، فالغالب في هذا العمر أن العقل لم يرشد بعد، والتفكير محدود لم يكتمل، والنفسية هشة لم تتماسك، والشخصية في طور البناء لم تتميز، فيسهل أن يدخل عليها –وتلك الحال- كلّ مزخرَف من القول تتوهم فيه ضالتها وما تبحث عنه من عقل وتفكير ونفسية وشخصية.

فجاء هذا البحث محاولة لعرض أهم دعاوى من ألحدوا من هذه الفئات الشابة في بلاد المسلمين والعرب، وبيان أنها غالبا دعاوى متوهمة غير حقيقية، مع محاولة البحث عن الأسباب الحقيقة –أو أهمها- الدافعة للإلحاد في بيئة يفترض أنها أبعد ما يكون عن قبوله.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، المبحث الأول في مفهوم الإلحاد وأصناف الملحدين في بلاد المسلمين، أما المبحث الثاني ففي دعاوى الملحدين عن أسباب الإلحاد، وأما المبحث الثالث ففي الأسباب الحقيقية للإلحاد عند أبناء المسلمين.

2. المبحث الأول: مفهوم الإلحاد وأصناف الملحدين في بلاد المسلمين

1.2. المطلب الأول: مفهوم الإلحاد

الفرع الأول: الإلحاد في اللغة

الإلحاد مصدر ألحد، يقال ألحد ولحد إذا مال، أو مال عن الحق والاستقامة، قال ابن فارس: "اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة، يقال ألحد الرجل إذا مال عن طريقة الحق والإيمان، وسمي اللحد لأنه مائل في أحد جانبي الجدث"[1].

ويأتي الإلحاد أيضا بمعان قريبة من الميل كالجور والظلم والجدال والإثم، قال ابن سيده: "ولحد إلى الشيء يلحد وألحد والتحد: مال. ولحَد في الدين يلحد وألحد: مال وعدل. وقيل: لحد مال وجار، وألحد مارى وجادل. ولحد عليَّ في شهادته يلحد لحدا: أثم. ولحد إليه بلسانه: مال. وألحد في الحرم: ترك القصد فيما أمر به. وهذه فروق متقاربة"[2].

الفرع الثاني: الإلحاد في نصوص القرآن الكريم

لم يبتعد الاستعمال القرآني للفظ الإلحاد عن المعنى اللغوي، فلم يأت بالمعنى المعاصر للّفظ، وقد ورد لفظ الإلحاد في كتاب الله في أربعة مواضع، مرة بالمصدر "إلحاد" وثلاث مرات بالمضارع "يلحدون".

---

[1] ابن فارس أحمد، مقاييس اللغة، ج 5، ص 236

[2] ابن سيده علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، ج 3، ص 261

الموضع الأول في قول الله عز وجل: **"ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون"**[3].

فسّر الإلحاد في أسماء الله هنا بالتكذيب، والشرك، والتحوير، وتسمية الله بما لم يسمّ به نفسه، وتسمية الآلهة بأسمائه كاللّات من الإلاه والعزّى من العزيز.[4]

الموضع الثاني في قوله سبحانه: **"ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين"**[5].

ومعنى الإلحاد هنا الميل، أي الذي يميلون إليه كذبا أنه يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن أعجمي لا يتكلم العربية.[6]

الموضع الثالث في قوله تعالى: **"إن الذين يلحدون في ءاياتنا لا يخفون علينا"**[7].

وفسّر الإلحاد هنا بالميل عن الإيمان بالآيات وبتنزيلها على غير المراد، والتكذيب بالآيات، والمعاندة.[8]

الموضع الرابع في قوله سبحانه: **"ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم"**[9].

وفسّر الإلحاد هنا بأنه الميل إلى الظلم، ومنه الشرك وفعل الحرام والآثام.[10]

الفرع الثالث: الإلحاد في الاصطلاح المعاصر

عرّف المعاصرون الإلحاد بأنه: " مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت"[11].

---

[3] [الأعراف : 180]
[4] الماوردي أبو الحسن، النكت والعيون، ج 2، ص 282، البغوي الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ج 3، ص 307
[5] [النحل : 103]
[6] الطبري أبو جعفر، جامع البيان، ج 17، ص298
[7] [فصلت : 40]
[8] ابن الجوزي أبو الفرج، زاد المسير، ج 4، ص 53
[9] [الحج : 25]
[10] الثعلبي أبو إسحاق، الكشف والبيان، ج 18، ص 337، الواحدي علي بن أحمد، الوجيز، ص 732

وتبعا لذلك فإن الملحدين مع إنكار وجود الله ينكرون الرسالات والأديان، ويمكن جعلهم على صنفين إجمالا، ملحدين ينكرون وجود الإلاه، و "اللاأدرية" وهم الذين يرون أن وجود الإلاه لا يمكن إثباته ولا يمكن نفيه[12]، ويمكن ذكر غير هؤلاء عند التفصيل كاللّادينيين والمتشككين وغيرهم.

2.2. لمطلب الثاني: أصناف الملحدين في بلاد المسلمين

الملاحدة في بلاد المسلمين ليسوا صنفا واحدا، فباعتبار مضامين الاعتقاد لا يختلفون غالبا عن أنواع الإلحاد السابق ذكرها، لكن سنتكلم عن اختلاف أصنافهم باعتبار التصريح بإلحادهم وإظهاره، فهم بهذا الاعتبار يمكن جعلهم على ثلاثة أصناف إجمالا ، الصنف الأول فيه المجاهرون بإلحادهم صراحة وهم قلة .

والصنف الثاني ليس لهم جسارة على التصريح بإلحادهم ، فلبس أكثرهم "بدلة" العلمانية، وفتحت لهم منابر كثير من وسائل الإعلام غير البريء ليبثوا فيها سمومهم وعقدهم وحقدهم وعداءهم للدين وكل مظاهره -ولا يعني هذا أن كل العلمانيين ملاحدة بالضرورة ولا أن كل الإعلام غير بريء- وبعض هذا الصنف لا يتعلق الأمر عنده بجسارة أو جراءة بقدر ما يتعلق بعدم استطاعة ، فهو لا يعدو عن كونه بيدقا يحركه غيره كصنف الإعلام المذكور الذي ينفخ فيه ، لا يمسك بزمام أمره ، ولا بخطام مواقفه ، وليس له حتى أن يحرك لسانه بإرادته إلا لبلع ريقه ، فهو لا يعدو عن كونه شريطا أو قرصا يسجل فيه أصحابه ما يريدون ، ثم ينشرونه ويروجونه إلى أن يتلف أو تكثر خدوشه من كثرة استعماله فيلقى به ويؤتى بغيره .

أما الصنف الثالث فهم الذين نتكلم عنهم، ويثير حالهم القلق رأفة ورحمة بهم، فهم فئة من الشباب من أبناء المسلمين لم تترب على دين وإن انتسبت إليه اسما ورسما،

---

[11] طعيمة صابر، الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، ص 10، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، مجموعة من الباحثين، ج 1، ص422

[12] سندي صالح، الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته، ص 12

ولم تعلم قواعده وأركانه ، ولم تعرف فروعه فضلا عن أصوله ، ولم تتخلق يوما بأخلاقه ، ولم تعرف معروفا ، ولم تنكر منكرا ، بل نشأت تتجاذبها الشبهات من هنا والشكوك والتشكيك من هناك والانبهار بالغرب من هنالك ، دون أن تجد أجوبة تشفي غليلها، أو دون أن تبحث عنها حتى في أكثر ما يشكل ، فوقعت في حيص بيص .

وطرح الإشكال مخصوصا ببلاد المسلمين والعرب إنما هو لاعتبار منزلة الدين وتعظيم الرب في بيئة يغلب عليها دين التوحيد والفطرة ، فإن لم يكن فاليهودية والنصرانية التي لا تنازع في وجود الخالق طرفة عين ، فإن لم تكن فالشرك الذي لم ينكر أهله على اختلاف مللهم وجود الرب أيضا ، قال عزّ من قائل : **" ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله "**[13] ، فكل ما كان يُدان به في تلك البيئة من دين حق أو محرف أو باطل لم ينكر شيء منه ولا أحد من أهله وجود الخالق من وجه ، وحتى من نقل القرآن عنهم قولهم: **" وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر "** [14] لم يكن ذلك إنكارا منهم لوجود الخالق كما زعم بعض الملاحدة الباحثين لهم عن سلف ، بل كان إنكارا للمعاد والبعث كما دلت عنه آيات كثيرة في القرآن، بل دل عليه سياق الآية نفسها والآيات التي تليها ، قال الحق بعدها : **" وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين * قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون"** [15].

---

[13] [الزمر : 38]
[14] [الجاثية : 24]
[15] [الجاثية : 25-26]

3. المبحث الثاني: دعاوى الملحدين عن أسباب إلحادهم

للملحدين من الشباب في بلاد المسلمين دوافع يشتركون فيها مع غيرهم من الملحدين لا جرم، لكن لهم أيضا دوافع تختص بهم يزعمون أنها كانت من أسباب إلحادهم ، وعند النظر فيها والتمحيص نجدها مجرد دعاوى مبنية على وساوس زخرفها لهم أبو كردوس وجنوده فصاروا يؤزونهم بها أزا ، وهي دعاوى كثيرة لا يحتمل المقام عرضها كلها، لكن حسبنا أن نذكر أهمها وننظر فيه ، ثم نذكر أهم الأسباب الحقيقية بموضوعية فيما ظهر لنا .

1.3. المطلب الأول: نفيهم وجود أدلة وبراهين على وجود الخالق

أولى هذه الدعاوى زعمهم عدم وجود أدلة وبراهين على وجود الخالق سواء منهم من قال إن الكون وجد صدفة أو إن المادة هي الخالق والمخلوق أو إن وجوده يستلزم وجود موجد له، ولن نحشد الأدلة على إبطال هذه المزاعم فهي مبسوطة في الكتب التي ردت على الإلحاد والملاحدة وشبهاتهم لمن رامها .

لكن نكتفي بالإشارة إلى أن ذلك كله مرده إلى خلل في تصور الأشياء بالأساس. أفرأيت لو أنك قلت لأحدهم والشمس في كبد السماء : ما أشد حرّ النهار ، فقال لك : وما أدراك أنه نهار ؟ هات الدليل ؟ لكان العيب فيك لو أجبته فقلت : ألا ترى الشمس والضوء الذي يملأ الدنيا ؟

لأن كلامه يحتمل واحدا من أمرين : إما أنه هازل وإما أن بعقله ضعفا أو خللا أو خبلا، فلو أجابه المجيب جادا عن سؤاله جوابا مجردا عن اعتبار علاج العيب الذي كان منطلق سؤاله ، كان عنده إشكال هو الآخر ، لأن العقل الذي يطلب الدليل على مثل ذلك لا يصح فيه شيء بعد ذلك ، ولا يبعد عنه من يجهد نفسه في بيان دليل ذلك ، وما أحسن قول أبي الطيب :

وليس يصح في الأفهام شيء *** إذا احتاج النهار إلى دليل [16]

زد على ذلك ما في هذا الطرح من تناقض ، فالملحد الذي ينفي ويستكثر وجود صانع لهذا العالم ، يستنكر ترك الأسباب في أهون أمور الدنيا والمعاش ، ويؤمن أن التقدم والتطور والرقي والحضارة وغيرها من بنات جنسها التي يدندن حولها ليل نهار لا تأتي بالصدفة ولا من العدم ، أما هذا العالم الفسيح المترامي البالغ غاية الدقة والنظام والإتقان في أدق تفاصيله وجزئياته فهو عنده يمكن أن يأتي من ذلك.

فيا عجبا كيف يعصى الإله *** أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكةٍ *** وتسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية *** تدل على إنّه واحد[17]

2.3. المطلب الثاني: ادعاؤهم أنهم لم يجدوا الخيروالراحة النفسية في الإسلام

من الدعاوى التي تسمع كثيرا من الذين ألحدوا خاصة من الشباب أنهم كانوا مسلمين فما وجدوا خيرا في الإسلام ولا وجدوا الراحة النفسية ولا المصالح الدنيوية. وهذه أوهن من بيت العنكبوت ، وذلك أن أكثر هؤلاء لم يكن لهم من الإسلام إلا اسمه ، فأكثرهم لم يصل صلاة قط ، ولم يسجد لله سجدة ، ولم يركع له ركعة ، ولا صام ولا زكى ، ولا فتح المصحف يوما ولا قرأ آية حتى ، بل أكثر هؤلاء عاشوا في فسق وفجور ، وغفلة وسدور ، وموبقات ومخدرات وخمور ...

فأنى لمن كانت تلك حاله أن يعرف الإسلام ؟؟؟ وأنى له أن يدرك حقيقته ؟؟؟ وأنى له أن يذوق حلاوته ؟؟؟

وكيف لمن يأكل الربا ويوكله ، ولا يجد غضاضة في أخذ أموال الناس بالباطل ، ولا يبالي إن أخذ الرشوة أو أعطاها ، ويقامر ، ويخادع ، ويتحايل لأخذ أموال الناس ، ولا

16 المتنبي أبو الطيب، ديوان المتنبي، ص 343

17 نسبت هذه الأبيات للبيد بن ربيعة، ولأبي العتاهية، ولابن المعتز

يؤدي حقوقهم ... كيف لهذا أو لمن عاش في تلك البيئة أن يبارك الله له أو يحقق المصالح الدنيوية ؟

فالإسلام بريء من هؤلاء ، وهم لم يعرفوا الإسلام حقا ، ولم يكونوا مسلمين كما يلزم صدقا ، لذلك لم ينتفعوا به ، ولم يجدوا له أثرا في دينهم ودنياهم ... ولو عرفوا قيمته، وذاقوا شيئا يسيرا من حلاوته ، لما انسلخوا عنه ، وليسوا هم من انسلخ حقيقة، بل هو الذي ينفي الخبث كي يبقى صافيا نقيا كما ينفي الكير خبث الذهب والفضة.

واتخذوا جميعا أو كثير منهم هذه الدعوى مغامرة يقصّون معاناتهم المزعومة فيها وبطولة خروجهم منها على الذين إذا رأوا سبيل الغي اتخذوه سبيلا أو على المذبذبين وضعاف العقول لعلهم على آثارهم يهرعون ، أو ليوهموا العوام على الأقل بأن الناس يتركون الدين أفواجا عسى أن يوقعوهم بالشبهة بعد أن عجزوا عن إيقاعهم بالحجة .

3.3. المطلب الثالث: زعمهم أن وجود الشر والظلم دليل على عدم وجود الخالق

من دعاواهم أيضا أن وجود الشر والظلم وانتشاره دليل على عدم وجود خالق للكون ، إذ لو كان هناك خالق فكيف يرضى بذلك ويسمح بوقوعه ؟

والجواب أن وقوع الشر والظلم في الكون لا يلزم منه أن الله يحبه ويرضاه ، إذ يجب التمييز بين قضاء الله وأمره الكوني وقضائه وأمره الشرعي لأن عدم التمييز بينهما من المزالق التي أضلت كثيرا من الفرق الإسلامية ومن المنتسبين للإسلام فكيف بمن يبحث عن قشة لاتخاذها ذريعة ينسلخ بها عن الدين ؟

فما يقضيه الله ويأمر به كونا واقع نافذ لا محالة ، ولا يلزم من وقوعه أن الله يحبه ويرضاه بل قد يكون مما يحبه ويرضاه وقد يكون مما يأباه ، قال تعالى : **" إنما أمره**

إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" [18]، وقال عزّ مِن قائل : **"وقضينا إلى بني إسر ائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا"** [19]،وقال سبحانه : **"هو الذي خلقكم فمنكم كافرومنكم مؤمن"** [20]، ومن هذا الباب الإحياء والإماتة والحوادث والمصائب والكفر والضلال وغيرها ... فكلها قضاها الله كونا فهي واقعة ، ولا يلزم أن الله يحب ويرضى كل ما يقع منها.

أما ما يقضيه الله شرعا فلا يلزم وقوعه بل قد يقع وقد لا يقع ، ولا يكون إلا فيما يحبه الله ويرضاه ، قال تعالى : **" وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"** [21]، وقال سبحانه : **"إن الله يأمربالعدل والإحسان و إيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكروالبغي"** [22] فهذه الأعمال قضاها الله وأمر بها عباده شرعا لكن قد تقع وقد لا تقع ، وكل هذه الأعمال من فعل المأمورات وترك المنهيات يحبها الله.

ونورد مثالين نوضح بهما ذلك :

الأول مثال الكفر : فالكفر قضاه الله كونا ، قال تعالى : **"هو الذي خلقكم فمنكم كافرومنكم مؤمن"**، لكنه لم يقضه شرعا ولا يحبه ، قال سبحانه : **" إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر"** [23].

الثاني مثال الصلاة : فقد قضاها الله شرعا وأمر بها وهو يحبها ويرضاها ، قال تعالى : **"اتل ما أوحي إليك من الكتاب و أقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"** [24]، لكن لا يلزم من أنه يحبها وقضاها شرعا أن تقع كونا وقدرا ، فليس كل

---

[18] [يس : 82]
[19] [الإسراء : 4]
[20] [التغابن : 2]
[21] [الإسراء : 22]
[22] [النحل : 80]
[23] [الجاثية : 24]
[24] [العنكبوت : 45]

الناس يصلون كما هو مشاهد ، وكما قال تعالى : **" فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا"** [25].

فإن قال الملحد معترضا : كيف يخلق ويقضي الشر وهو لا يحبه ؟ فالجواب أن الله لا يخلق شرا محضا ، فالله ما خلقه إلا لحكم جليلة علمها من علمها وجهلها من جهلها ، وحسبك مثالا على ذلك ما وقع في قصة موسى والخضر في سورة الكهف ، فخرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ظاهره شر لذلك أنكره موسى عليه السلام ، ثم ظهر أن ذلك لحكم بالغة ، فالسفينة المخروقة سيُعرض عنها الملك الذي يأخذ السفن ثم يمكنهم إصلاحها بعد ذلك بقطعة خشب ، والولد العاق سيرهق والديه وقومه ويطغى ويفسد فأراحهم الله من شره ليبدلهم خيرا منه بل في موته قبل أن يدرك ذلك رحمة له ونجاة له من سوء عاقبته، والجدار أصلحه دون مقابل رغم إساءة أهل القرية لأن تحته كنزا ليتيمين فلو انهار وجاء الناس لإزالة بقاياه لوجدوه فيُحرم منه اليتيمان ...

فكذلك كل أمر قضاه الله في الكون ظاهره الشر فيه حكم عظيمة لله ، علمها من علمها وجهلها من جهلها ، وإن كان العبد الضعيف القاصر المدارك لا يعلم الحكمة من ذلك ، فلا يعني عدم وجودها.

4.3. المطلب الرابع: ادعاؤهم أنهم لم يجدوا في الإسلام أجوبة عن أسئلتهم

ومن دعاوى الملحدين أنهم لم يجدوا جوابا في الإسلام عن كثير من أسئلتهم وتساؤلاتهم ، وعند التحقيق نجد أن هذه التساؤلات التي تحار فيها العقول بزعمهم إما تساؤلات صبيانية ساذجة من نوع : إذا كان الله هو الذي خلق الكون فمن خلق الله ؟

---

[25] [مريم : 59]

أو هي تساؤلات المراهقين حين ينتقل الواحد منهم من مرحلة في عمره إلى أخرى فيظن نفسه صار صاحب ذكاء معجز وعقل لا يضاهى، فيأتي بغرائب يظنها أدلة على ذلك، وحقيقة حاله أن ذكاءه وعقله في تلك المرحلة لا يخول له بعد فهم نظرية علمية بل ولا حتى حل معادلة رياضية من الدرجة الثانية أو الثالثة غالبا .

ومن ذلك قولهم : لم خلقنا الله إن كان لا يستفيد شيئا منا ؟ وهل يستطيع الله أن يخلق من هو أقوى منه ؟ وإن كان لا يستطيع فكيف يكون خالقا ؟ وكيف يعطينا الله القدرة على المعصية ثم ينهانا عن ذلك ؟ وغيرها من الأسئلة الساذجة التي تدل على "مراهقة " في العقل والفكر وإن لم يكن أصحابها كذلك في العمر، لكن ما أشبه هؤلاء بأولئك .

أما التساؤلات التي قد تشكل حقا على من تتبادر إلى أذهانهم فهي قليلة جدا في بحر التساؤلات الساذجة ، وكلها لها أجوبة سواء كانت تافهة أو مشكلة ، بشرط البحث عنها في مصادرها ومظانها، وقد تختلف النتيجة باختلاف الجهد المبذول من صاحبها بحسب صدقه وهمته وكذلك باعتبار أهمية التساؤل ، فبعض من يطرح هذه التساؤلات لم يبذل في حياته جهدا للوصول إلى جواب ، وبعضهم يعرض له تساؤل مشكل فلا يبذل له إلا الجهد الموصل إلى جواب عن تساؤل ساذج ، أو قد يبحث عن الجواب عند غير أهله أو من لا يحسنه ، والنتيجة واحدة في كل الأحوال هي عدم الحصول على جواب كاف شاف أو عدم الحصول عليه أصلا .

والدعاوى التي يظنها أصحابها دوافع حقيقية حملتهم على الإلحاد كثيرة ، لكننا ذكرنا هنا أهمها وأشهرها ، وكثير من تلك الدعاوى التي لم تذكر يندرج تحت ما ذكرناه .

4. المبحث الثالث: الأسباب الحقيقية للإلحاد عند أبناء المسلمين

الأسباب والدوافع الحقيقية لظهور الإلحاد في أبناء المسلمين كثيرة أيضا ، وبالنظر إلى واقع الإلحاد والملحدين يمكن أن نجمل أهمها في ما يلي :

1.4. المطلب الأول: ضعف الإيمان وعدم طمأنينة القلب أو"الفراغ الروحي"

وذلك أن أكثر هؤلاء كانوا قبل إلحادهم في بعد عن الله وطاعته وأمره ونهيه وذكره وشكره ، فلم يجدوا حلاوة الإيمان التي تجعلهم يتمسكون به ، ولو وجدوها حقا -ولو مدة وجيزة في حياتهم- ما تركوها ولو نشروا بالمناشير لأجل تركها ، وتحصيلها لا يكون إلا بالإخلاص لله والاستقامة على دينه وحسن عبادته وذكره ، قال سبحانه : **" الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن"** [26]، وكان إبراهيم بن أدهم يقول : " لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم لجالدونا عليه بالسيوف"[27] ، وكذلك هؤلاء لو ذاقوا طعم الإيمان وعرفوا حقيقة الإسلام لما تركوه . قال الشيخ محمد الخضر حسين: "للإلحاد مهيئات منها أن ينشأ الشخص في بيت خال من آداب الإسلام ومبادئ هدايته فلا يرى فيمن يقوم على أمر تربيته من نحو والد أو أم أو أخ استقامة، ولا يتلقى عنه ما يطبعه على حب الدين ويجعله على بصيرة من حكمته، فأقل شبهة تمس هذا الناشئ تنحدر به في هاوية الضلال"[28].

2.4. المطلب الثاني: حب الظهوروالتميزبين الناس

بعض من ألحد أو كثير منهم ما حملهم على ذلك إلا حب الظهور ، ولم يكن لهم ما يميزهم عن غيرهم من علم أو ذكاء أو عمل أو نبوغ في مجال من المجالات ، فلم يجدوا سبيلا لإشباع هذه الرغبة النفسية إلا بالعمل بالمثل القائل " خالف تعرف" ورأوا أن

---

[26] [الرعد : 28]

[27] الأصبهاني أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 7، ص 371، الخطيب البغدادي أحمد بن علي، كتاب الزهد والرقائق، ص 133

[28] حسين محمد الخضر، الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده، ص 8

أسرع طريق موصل إلى ذلك هو الإلحاد ، فالمهم هو الشهرة والذكر ولو بسوء ، ويكثر ذلك غالبا في الشباب.

وحال من كان ذلك قصدهم من الإلحاد أشبه ما يكون بذاك الرجل الذي يحكى أنه بال في بئر زمزم والناس يطوفون ويملؤون الماء منها فذمّوه وأغلظوا عليه وسألوه لِمَ فعلتَ هذا ؟! فقال : أردت أن يعرفني النّاسُ فيقولوا: هذا الذي بال في بئر زمزم .

أو ما يروى عن أحد شيوخ بغداد أنه قال: "هل ذكرني أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد في الثقات أم مع الكذابين؟ قيل ما ذكرك أصلا، فقال ليته ذكرني ولو مع الكذابين"[29].

3.4. المطلب الثالث: الإعراض عن تحصيل العلم الشرعي

وهذا يؤتى منه غالبا من دخله شك أو عرضت له شبهات لم يمكنه دفعها أو رفعها ، لأن غيره من أصناف الملاحدة كان فقط يبحث عن شماعة ليعلق عليها إلحاده ولم يكن له هم ولا همة لدفع الشك والشبهات بل قد لا يكون عَرض عليه شيء منها أصلا . والعلم الشرعي محصن للعبد قبل أن يكون دافعا عنه ، فبقدر ما يكون للعبد من العلم الشرعي بقدر ما يكون عارفا بربه وبدينه ، بقدر ما يكون معظما له محبا له مدافعا عنه ، قال تعالى : **" إنما يخشى الله من عباده العلماء"** [30](فاطر 28) ، وصاحب العلم إذا طرأ عليه شك أو ألقي على سمعه باطل دحضه العلم الذي تعلمه كما قال جل وعلا : **" بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق"**[31] (الأنبياء 18) فإذا لم يكن للعبد من ذلك الحق في صدره شيء فلن يجد ما يدفع عنه الباطل.

---

[29] الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 824، الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج18، ص 38

[30] [فاطر : 28]

[31] [الأنبياء : 18]

قال الشيخ محمد الخضر حسين: "قد تصيبه رياح الإلحاد فمع مرور الزمن ومع محصوله الديني الضئيل الضعيف الذي يملكه، والذي لا يغني من جوع ولا يصد هذا السيل الجارف الضخم من الفساد الفكري المركز على قلبه الذي فيه دين كأحلام السباع غير مستفاد منه"[32].

4.4. المطلب الر ابع: ضعف الخطاب الديني وقلة تأثيره

وهذا راجع إلى كثير من العوامل ، فمنها ما يرجع إلى الأنظمة السياسية فكثير ممن يلون الإشراف على الخطاب الديني الرسمي في البلدان الإسلامية -لا أقول الكل- هم موظفون جيء بهم غالبا ليقولوا ما يؤمرون بقوله والمعيار في اختيارهم هو الولاء والإذعان وليس العلم والكفاءة وحمل هم الأمة والدعوة ، ولا يسلم من ذلك إلا من رحم الله -وقليل ما هم- فكانت نتيجة ذلك عدم التأثير في الناس وعدم القدرة على الإجابة المناسبة على كثير من الإشكالات .

ومنها انتشار خطاب يقوم على الخرافات و"الدروشة" ونسبته زورا إلى الإسلام وهو الخطاب الذي تدعمه كثير من البلدان الإسلامية وتحاول جعله خطابا عاما في بلدانها، وجعله الصورة الصحيحة للإسلام في أذهان الناس ، وجعل منتحليه قدوات ولو كانوا من اجهل الناس أو أفسق الناس أو أبعد الناس عن الاستقامة والصلاح ، فما كان من الناس إلا أن نفروا منهم بل علق في أذهان بعضهم ربط الإسلام بالخرافة والدجل بسببهم.

وقد أشار الشيخ عبد الرحمان حبنكة إلى بعض المغالطات التي يعتمدها الملاحدة لنشر الإلحاد في صفوف أبناء المسلمين فذكر منها : "التقاط مفاهيم شاذة موجودة عند بعض الفرق التي تنتسب إلى الإسلام، وإطلاقها على أنها مفاهيم إسلامية مُسلَّم بها عند المسلمين، والإسلام منها بريء براءة الحق من الباطل"[33].

---

[32] حسين محمد الخضر، الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده، ص 3

[33] حبنكة عبد الرحمان، صراع مع الملاحدة حتى العظم، ص 16

ومنها في المقابل انتشار خطاب قائم على الغلو والتشدد راحوا يحاربون أهله بالردع وحده أو بخطاب الخرافة أحيانا مغفلين خطاب العلم وأهله ، فما زادوا ناره إلا توهجا ، فنفر هؤلاء الناس من الدين وعلق في أذهان بعضهم ربط الإسلام بالتشدد والغلو ، والإسلام بريء من كل هذه الخطابات والتوجهات المنحرفة ، فهو وسط بين الغلو والجفاء وبين الإفراط والتفريط .

5.4. المطلب الخامس: التأثربالنظريات العلمية الغربية مطلقا

كثير من الملحدين من أبناء المسلمين كان إلحادهم بسبب توهم معارضة الإسلام للنظريات والحقائق العلمية الراسخة ، وهي ليست بذاك الوصف حقيقة ، لكنهم لُقنوا ذلك ، بل تُدرس بعض تلك النظريات على ذلك الأساس في كثير من بلاد المسلمين ، وعلى رأسها نظرية التطور ، والتي وقع تفنيدها وتكذيبها علميا في عشرات الدراسات والكتب والبحوث من دول مختلفة في العالم.

وأكثر هذه النظريات لا تندرج ضمن العلوم الصحيحة ، بل هي في الغالب دراسات وبحوث قد تكون صحيحة وقد تكون خاطئة ، وإن صحت فإنها تدخل في العلوم التجريبية في أحسن أحوالها ، والعلوم التجريبية إن ثبتت صحتها فإنها لا تنافى الشرع قطعا ، وإن وجد تعارض ظاهر لا يمكن فيه التوفيق بينهما بوجه صحيح فلا يمكن أن يدحض بها ما كان قطعي الثبوت قطعي الدلالة في الشرع ، فكم من نظريات علمية قامت على التجربة والملاحظة ونحوها كانت تدرس ويلقن الناس أنها حقائق علمية ثم دحضها العلم ، بل دحضها نوع العلم نفسه الذي تنتمي إليه ، وما كان بهذا الوصف لا يدحض به الشرع الصحيح الصريح قطعا...

والدوافع الحقيقية أكثر من هذا في الواقع ، لكنّ المقام ليس مقام إطالة، فحسبنا أننا سقنا من خلاله أهم ما ظهر لنا من دوافع الإلحاد في بلاد المسلمين.

5. خاتمة

نخلص في النهاية إلى أن أشهر الدوافع والأسباب التي يراها من ألحد من أبناء المسلمين –ومن ألحد عموما- وراء إلحادهم هي في الحقيقة دعاوى عند أكثرهم وليست الدوافع الحقيقية، ولعل جعلها كذلك لا يكون عن حسن قصد عند كثير منهم بل لما لها –في أنظارهم- من حجية ومن تأثير مباشر على الطعن في الإسلام والتخذيل عنه والتنفير منه، ولعل هذا القصد لا يكون موجودا عند آخرين، لكنّهم كلّهم وقعوا في الخطأ والزلل، وليس خطأ هينا أو زللا عارضا، بل هو أعظم خطأ وأعظم زلل، أن ينكر المخلوق الضعيف وجود الخالق القوي وخلقه، وينكر دينه وكتبه ورسله والبعث والمعاد.

كما أن ذلك فيه صرف نظر عن الدوافع الحقيقية للإلحاد التي لا يسلم من أوزار وجودها في بلاد المسلمين أطراف كثيرة تتداخل تداخل الشبكة في علاقتها بالأمر من سلطة وقوانين ومجتمع وأسرة وعلماء ونظام تعليم وتربية وإعلام...

نسأل الله أن يهدينا ، وأن يحيينا على الإسلام ، وأن يميتنا عليه ، وأن يبعثنا عليه ، وأن يرد هؤلاء إليه وإلى دينه ردا جميلا ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

****

6. قائمة المراجع:

- ابن الجوزي أبو الفرج، زاد المسير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ

- ابن سيده علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421 هـ، 2000 م

- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، 1399 هـ، 1979 م

- الأصبهاني أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة السعادة، مصر، 1394 هـ، 1974 م

- البغوي، معالم التنزيل، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417 هـ، 1997م

- الثعلبي أبو إسحاق، الكشف والبيان، دار التفسير، جدّة، الطبعة الأولى، 1436 هـ، 2015م

- حبنكة عبد الرحمان، صراع مع الملاحدة حتى العظم، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، 1412هـ، 1992 م

- حسين محمد الخضر، الإلحاد أسبابه طبائعه، مكتبة ابن تيمية، الكويت، 1406 هـ، 1986م

- الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ، 1993 م

- الخطيب البغدادي أحمد بن علي، كتاب الزهد والرقائق، دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1430 هـ، 2000 م

- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ، 1985م

- سندي صالح، الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته، دار اللؤلؤة، الطبعة الأولى، 1424 هـ، 2013 م

- طعيمة صابر، الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، دار الجيل، الطبعة الأولى، 1425 هـ، 2004 م

- الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية بيروت

- المتنبي أبو الطيب، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، 1403 هـ، 1983 م

- مجموعة من الباحثين بإشراف علوي السقاف، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الدرر السنية

- الواحدي علي بن أحمد، الوجيز، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت ، الطبعة الأولى، 1415 هـ